

الأب كولفنباخ يستريح اليوم في "جنته اللبنانية"



رئيس كبير، قائد، علم رائد، علامة فارقة في تاريخ اليسوعيين، "وجه جميل جداً". بهدوء، انطقاً الأب بيتر هانس كولفنباخ، الرئيس العام لرهبانية "رفاق يسوع" (اليسوعيون) من 1983 إلى 2008، في بيروت التي احبها كثيراً قبل 4 أيام من الاحتفال بعيد ميلاده الـ88، وبعد نحو 6 اسابيع من انتخاب الرئيس العام الجديد للرهبنة الأب أرتورو سوسا.

هالة حمصي

"انه شخص رزين جدا، لا يسعى الى الظهور او جعل الآخرين يتكلمون عن اعماله". كانا قريبين من بعضهما البعض، وغالباً ما امضينا الوقت معاً، وتشاركنا في مسائل روحية. كذلك، تعاوننا في التنشئة الروحية للراهبات. كان القائد، وأنا اعاونده". ذكريات تلمع، وتستعد الاحداث والامكنة والتفاصيل. "كان وجهاً جميلاً جداً"، يقول في الإكليريكية الشرقية، اتمّ كولفنباخ دارسته اللاهوتية، وسيم كاهناً في بيروت في 29 حزيران 1961 في كنيسة القديس يوسف للأباء اليسوعيين، بعد 3 اعوام من وصوله الى لبنان. "كان شاباً مثقفاً، ويحب الثقافة"، لاحظ رفاق الدرب من البداية. العام 1964، توجه الى فرنسا لمتابعة دراسات عليا في الأرمنية والألسنيات. ثم انتقل إلى الولايات المتحدة لإنهاء "سنة الإبتداء الثالثة". العام 1968، عاد الى بيروت حيث درس الألسنيّة العامّة والأرمنيّة الكلاسيكيّة في معهد الآداب الشرقيّة. ثمّ اصبح مدير معهد الفلسفة في جامعة القديس يوسف (2).

المثقف الرزين

إنه ابن هولندا. هناك وُلد كولفنباخ في 30 تمّ 1928. ودخل الرهبنة اليسوعيّة في 7 أيلول 1948. وصل الى لبنان، للمرة الأولى، في 1 تمّ 1958. كان أحد أربعة شباب يسوعيين دارسين "انطلقنا معاً في القطار من امستردام الى البندقية، وتعارفنا في الرحلة". يتذكر رفيق السفر الاب تيو فلخت اليسوعي.

طوال 5 أيام، ابحرت بهم باخرة "اوسونيا" الى بيروت، بعد توقفين في اليونان ومصر. "عندما وصلنا، كان الانزال الاميركي. وبقينا فترة في سيدها الجمهور حيث تعلمنا العربية على يد الاب الراحل كميل حشيمي. وبعد عودة الهدوء الى البلاد، أرسلنا الى بيروت، حيث بدأنا معاً دراستنا اللاهوتية". يروي. من أيام بيروت الستينات، عرفه ايضا الاب بول براورز الهولندي.

"الديپلوماسي والاستراتيجي"

بين 1974 و1981، تولّى مسؤولية رئاسة إقليم الشرق الأدنى في الرهبنة. في 2ك 1981، عُيّن رئيساً للمعهد الحبري الشرقي في روما. العام 1983، انتخب خلال المجمع العام الـ33 للرهبنة، رئيساً عاماً (2). كان رجل المهمات الدقيقة، الحساسة، في تلك الحقبة، "كانت الرهبنة في مرحلة حرجية"، يقول مدير مركز الفنون الروحية في دير سيده النجاة في بكفيا الاب زكي صادر اليسوعي. كان السلف الاب بيدرو ارويبي

ادخل "تغييرات كثيرة في الرهبنة، مطلوبة من المجمع الفاتيكاني الثاني. كانت ايجابية، بحيث غيرت وجه الرهبنة بين ليلة وضحاها. غير انها اخافت من جهة الادارة الفاتيكانيّة، ومن جهة اخرى رهبانا في الرهبنة"، يشرح. ويضيف: "بانتخاب كولفنباخ، كان المراد ابعث شخص ديپلوماسي يعيد توحيد الرهبنة من جهة، ويحسن العلاقات بالفاتيكانيّ من جهة اخرى. وهذا ما حصل. كان المرمم. نجح في اعادة اللحمة الى الرهبنة عبر تشكيل لجان عدة، وتمتع بديپلوماسية كبيرة مع البابا الراحل القديس يوحنا بولس الثاني، ثم بصداقة كبيرة مع البابا الفخري بينديكتوس السادس عشر وغيره".

رجل الترميم والتخطيط فتح ايضا ورشة أفضت الى وضع مرجع يجمع كل قوانين الرهبنة. ويقول صادر: "كان عملاً يوحد الرهبنة. وبات لنا، في عهد كولفنباخ، مرجعاً قانونياً. كان رجلاً استراتيجياً من الناحية الادراية. عرف ان يوحد وينظم، الى جانب قدرته الديپلوماسية وعلى الجمع بين الاضداد". من صفاته ايضا، "البساطة، التقشف، الى درجة ان بساطته كانت تصدم رجال دين عرّفوه... تمتع بديپلوماسية تريح الناس. كان قريباً من القلب".

الصديق عاد

25 عاماً، رئيساً عاماً للرهبنة من

1983 إلى 2008. كولفنباخ الجريء كسر العرف. وفقاً لقانون الرهبنة، الرئيس العام يكون لمدى الحياة. رغم ذلك، قدم استقالته، "عازياً السبب الى صحته، والى حاجة الرهبنة الى تجديد دم جديد"، يشرح صادر. وهذا يجعل منه "اول رئيس عام يقدم استقالته، الاول الذي يُدفن خارج روما". ويتدارك: "عندما يموت الرئيس العام (مدى الحياة)، يُدفن تلقائياً في روما".

ولكن ليس في حالة كولفنباخ الذي لم يستقل فحسب، انما ايضا "افتتح عصراً جديداً، لانه بعد استقالته، استقال ايضا البابا بينديكتوس بعد اعوام عدة". في بداية المجمع العام الـ35، شوّج لكولفنباخ بأن يتنحى عن مركز الرئاسة العامّة. في آذار 2008 عاد الى لبنان.. و"بقي نفسه"، يقول فلخت. لكنه "عاد بخبرة حياة ضخمة. لم تكن خبرة لبنانية او ايطالية، بل عالمية. سافر في كل ارجاء العالم، حيث كان اليسوعيون يعملون. وكانت زيارته كلها تقريباً من اجل مهمة خاصة، قضية معينة". الصديق القديم "ضج"، على قوله. "كان رجلاً حقق خبرة يسوعية عالمية. تمكّن في كل مكان من ان يكون مفهوماً، ومن ان يفهم بدوره ايضا".

"أنا في الجنة"

رغم اعوام الفراق، بقي لبنان عزيزاً على القلب. واصر كولفنباخ على

العودة اليه، فور قبول استقالته. "هنا بدأ رسالته الارمنية وتعلم الارمنية، وزبسم كاهناً بالطقس الارمني. عاش في لبنان نحو 22 سنة. شعر بانّه ينتمي اليه، وانه بيته. فقرر العودة اليه"، يفيد صادر. خلال لقاء للطلاب الدارسين في باريس العام 1994، اقترب منه كولفنباخ في ختام مداخلة له. "قال لي: انا فخور بأن اكون من اقليمك. واجبت: انا فخور بأن اكون في رهبنتك".

فخره المعلن بهذا الانتماء توجّه بكلام آخر بعد عودته، اثر تلقيه اتصالاً من الخارج للاطمئنان اليه بعد حصول تفجير في بيروت. "انا في الجنة"، اجاب. في رأي صادر، "بلغ كولفنباخ نضجاً روحياً جعله قادراً على الشعور بالجنة، اينما وجد. هذه علامة للناس واليسوعيين".

سنوات الظل

في دير القديس يوسف للآباء اليسوعيين في بيروت، "ملا وقته باهتمامات ثقافية. عمل على الملفات الارمنية باهتمام كبير. بقي دائماً اميناً لهذه الرسالة"، يقول براورز. في النبذة عنه، "مارس مهمات متنوّعة، كالعوظ في ندوات ومؤتمرات، الى جانب أعمال خاصة بالتراث الأرمني في المكتبة الشرقيّة ومركز التوثيق والبحوث العربيّة المسيحيّة (CEDRAC). كذلك، أثنى، خلال اعوام عدة،

الإرشاد الروحي لرهبانية القليلين الأقدسين (2). ولكن رغم كل هذه الاهتمامات "أثر ان يبقى في سنواته الاخيرة في الظل. كانت حياته منعزلة الى حد ما، لانه كان رأى العالم كله"، يقول فلخت. اصدقاء آخرون لاحظوا الامر نفسه. "اختار الصمت والهدوء. اراد ان يبقى في الظل. لكنه لم يفلح في ذلك دائماً...". يقول براورز ضاحكاً.

وكما عاش بتكتم، ببساطة، انطقاً بهدوء، على مهل. براورز هو الراهب الذي أدّى له، عند سريره، مشحة الموتى، قبل ان ينطفئ (السبت 26 تمّ). كان عائداً من سفر، "واول امر فعلته عند عودتي هو الغاء التحية عليه، وان اصلي له مشحة الموتى في مستشفى اوتيل ديو. قالوا لي انه كان ينتظر عودتي قبل ان يغادر. وهذه إشارة شخصية". ويتدارك: "ثمّة الكثير الكثير للقول عنه. كان وجهاً جميلاً جداً".

(1) تقيم الرهبنة اليسوعية جنازة للاب كولفنباخ الساعة 3:00 بعد ظهر اليوم الأربعاء في كنيسة مدرسة سيّدة الجمهور. وبعد الصلاة، تقبل التنازي في صالون المدرسة حتى الساعة مساءً.

(2) نبذة عن حياة الاب بيتر هانس كولفنباخ نشرتها الرهبانية اليسوعية.

hala.homs@annahar.com.lb